

الأسرة كمجال أساسي للتنشئة الاجتماعية

The family as an essential area of socialization

فطيمة دريد - جامعة باتنة 1، الجزائر.

ملخص

تعتبر الأسرة هي أساس البناء الاجتماعي لحياة الطفل من جميع النواحي فهي التي توجه سلوكه و تثبت نمو جسمه و تحقق له النضج النفسي و العقلي و ترقى حسه الوطني و ثقافته الاجتماعية فينشأ الطفل اجتماعيا واعيا بمسؤولياته في هذه الحياة و هذا لن يتأتى إلا إذا كان الوالدان يعيان بالمهمة المقدسة التي تنتظرهما و عليهما أن يستعدا لها استعداد الأبطال لأنها مهمة عسيرة و الخطأ فيها غير مسموح لأن أثره جلل على الأسرة نفسها و حياة أبنها و مستقبل مجتمعهما. فتكوين المقبلين على تأسيس هذه المؤسسة المهمة و تحديد الأهداف المرجو تحقيقها و توفير الإمكانيات للوصول إلى المبتغى هو بداية تحقيق التنشئة السوية لأطفالنا.

الكلمات المفتاحية: الأسرة ، المجتمع ، التنشئة الاجتماعية.

Abstract

The family is often considered the main social pillar for a child 's life, from every aspect; since it orients their behavior and assist his growth whether was it physical, psychological or mental, it also builds up and improves children's sense of patriotism and social culture, making they grow social and aware of their responsibilities in this life. And this can't be attained unless the parents acknowledge the holy mission waiting them and know that they have to prepare for it heroically since it's a very difficult mission where no mistakes are allowed due to the immense impact on the family itself and the life of it's children and the future of the society . Since the molding of the builders of this important institution and aligning the desired objectives and providing the means to reach this aim is the start of achieving a decent environment to raise our kids .

Keywords: family; society; socialization.

مقدمة

الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع وقوامه وهي البنية الأساسية في صرح بناءه، وهي أقدم النظم الاجتماعية وأكثرها دواما واستمرارا وانتشارا، وهي أساس البناء الاجتماعي في المجتمع الإنساني، وهي المهد الأول الذي ينشأ فيه الطفل، حيث أنه يولد عاجزا على توجيه سلوكه باعتباره الحضر الاجتماعي الذي يعمل على توجيهه وتثبيت نموه الجسدي والمعرفي ونضجه النفسي والعقلي والاجتماعي وهذا لا يتأتى إلا برعاية الوالدين، حيث الميلاد البيولوجي ليس هو الأمر الحاسم في وجوده واستمراره وإنما العامل الحاسم هو الميلاد الثاني أي تكوين شخصيته الاجتماعية والثقافية التي تنتهي إلى مجتمع بعينه وتدين ثقافته وذلك كله يتم من خلال الأسرة، على اعتبار أنها أحد العوامل الأساسية في بناء الكيان التربوي وإيجاد عملية التطبيع الاجتماعي للأطفال وإكسابهم العادات التي تبقى ملازمة لهم طوال حياتهم وذلك لما لها من تكوين النمو الفردي وبناء شخصيته، ومنها يتعلم الطفل اللغة ويكتسب بعض الاتجاهات والقيم وهي المسؤولة على تنشئة أطفالها تنشئة تتسم بالاستقرار والاتزان والطمأنينة وتشعر الطفل بالأمان على اعتبار أن التنشئة الاجتماعية هي عملية بواسطتها يتم توجيه الطفل على نهج حياة أسرته انطلاقا من تنمية قدراته الأساسية التي تبدأ منذ ولادته إلى تنمية سلوكه نحو اكتساب ثقافة المجتمع الذي ينتهي إليه على اعتبار أنها عملية تفاعل اجتماعي وأنها العملية التي عن طريقها نكتسب الثقافة بكل مما تتضمنه من معايير وقيم وغيرها، مما سبق نحاول في هذه الورقة الإجابة عن التساؤل الآتي: كيف تقوم الأسرة بتنشئة أطفالها تنشئة سوية؟

تعريف الأسرة:

يعرفها محمود حسن بأنها صورة التجمع الإنساني الأول وهي جماعة أولية بمعنى أنها أساس الإنجاب والتطبيع الاجتماعي للجيل التالي، وهي كذلك الأصل الأول لعادات التعاون والتنافس التي تربط بها إشباع الحاجات إلى الحب والأمان والمركز الاجتماعي⁽¹⁾

ويعرفها أكرم مصباح عثمان بأنها المؤسسة الاجتماعية التي تضم الوالدين، والأبناء الذين يعيشون في منزل واحد، وتربطهم مجموعة من المبادئ، والقيم والعلاقات الإنسانية والمسؤوليات الاجتماعية، وهي تتولى رعاية الفرد وتهذيبه، وهي أعمق أثرا في بناء شخصيته وتكوين اتجاهاته وقيمه وأفكاره⁽²⁾.

أما نمكوف وأوجبرن فيعرفان الأسرة على أنها "منظمة اجتماعية تتمتع بخاصية الثبات النسبي وتتكون وحداتها من الزوج والزوجة والأطفال إضافة إلى ذلك وجود نوع من العلاقات والروابط القوية والمتماسكة تركز على روابط الدم والمصاهرة والتبني والمصير المشترك"⁽³⁾.

أما محمد عبد الهادي دكلة فيعرفها بأنها "جماعة اجتماعية تضم مجموعة أشخاص (اثنين أو أكثر) تربطهم علاقة زواجية أو قرابية يقطنون مسكنا واحدا يتفاعلون مع بعض من أجل تحقيق وظائف اجتماعية معينة وتحكمهم علاقات اجتماعية بينهم وبين أعضاء المجتمع من جهة أخرى"⁽⁴⁾.

مما سبق يمكن القول بأن الأسرة هي تلك الجماعة الاجتماعية الأولى التي تتكون من الوالدين ثم الأبناء، وهي من أكثر الظواهر انتشارا، وتتسم بالاستقرار وتهدف إلى الاستمرارية في الوجود، حيث أنها تعمل على لم شمل أفرادها بعلاقات متينة ويسودها الود والعاطفة بينهم وأعضاء المجتمع بصفة عامة فهي أولى مؤسسات التنشئة الاجتماعية حيث تقوم بتربية الطفل والاهتمام به منذ ولادته وتنشئته تنشئة سليمة يملؤها الاتزان والاستقرار والطمأنينة التي تلعب دورا فعالا في نموه الفكري، وتكوين شخصيته، كما أن الأسرة مسؤولة عن مراقبة أبنائها ومتابعتها لهم دائما في مسار حياتهم اليومية، ومصاحبتهم ومراقبتهم في تعليمهم الكيفية السليمة للتكيف الاجتماعي وتكوين العلاقات الاجتماعية من خلال ما يتعلمه من أشكال التفاعل على النحو الذي يتوافق مع قيم المجتمع ومثله ومعاييره. على اعتبار أن الأسرة ترعى شؤون الأفراد منذ الصغر والمجتمع يسعى جاهدا لتهيئة كل الفرص التي تمكن هؤلاء من أداء أدوارهم الاجتماعية على أكمل وجه.

فمن الناحية النفسية فإنها تمثل الإطار النفسي لأفرادها الذي يعمل على إشباع حاجاتهم وتحديد سلوكهم مما يضمن لهم الاطمئنان والاستقرار النفسي، كما أن تحديد سلوكها ينعكس على الطفل منذ السنوات الأولى من حياته، لأن وظيفة الأسرة كما يقول محمود حسن في كتابه الأسرة ومشكلاتها، هي صياغة استعداداته في نمط اجتماعي مقبول والعمل على تجنب نمو السلوك المضاد للمجتمع فإذا أخفقت الأسرة في تحقيق هذين الغرضين، نشأت شخصية عاجزة عن التوفيق بين رغباتها وبين مطالب المجتمع الذي يعيش فيه⁽⁵⁾، كما أن إهمال النواحي النفسية من طرف الأسرة سيؤدي حتما إلى نتائج خطيرة على أفرادها، لقد ثبت بأن عدد من الأمراض النفسية ترجع إلى ظروف البيئة والحياة التي يعيش فيها هؤلاء الأفراد⁽⁶⁾، وهذا ما يدفعنا إلى القول بالتنشئة السليمة والتي تظهر عبر العلاقات الأساسية داخل الأسرة التي تتم في الحقيقة على المستوى العاطفي أساسا، حيث أن الطفل في هذا المجال

يكتسب الإحساس بالأمان إزاء نفسه وإزاء العالم وإزاء الأطفال والكبار المحيطين به من خلال إحساسه بالانتماء المأمون إلى جماعة صغيرة وهي الأسرة التي ينتمي إليها⁽⁷⁾، وفي هذا حددت الباحثة الاجتماعية ميريام فان ووترز Meriam V. Waters الواجبات الأساسية التي يتحمل البيت عبئ تقديمها للطفل العادي في قولها: إن المنزل يجب أن يكفل المأوى الصالح للطفل الذي يغذي طفولته بالطمأنينة ويبعد عنه عوامل القلق والاضطراب المبكر ويمكنه من الحصول على المستوى الصحي اللازم بما في ذلك عناصر الحماية ويهيئ له الكيان الاجتماعي، ويدربه على مواجهة المعايير المتعارف عليها لسلوك الجماعة، كما يدربه على التجارب مع الموافقة الإنسانية التي تبرز العواطف الكبيرة كالحب والخوف والغضب، ويغذي فيه فن الحياة في مجتمع صغير - وهو الأسرة- تكون فيه العلاقات الإنسانية دافئة، وأخيرا فإن للبيت رسالته الكبرى في فطام الطفل ليس عن صدر أمه هذه المرة وإنما من الاعتماد على الآخرين بأن يتحرر من الالتحاق بالحنان والأمن الذي يجده داخل البيت حتى لا يفقد الشباب روح النضال والعمل والخدمة في مجال العلاقات الإنسانية في الخارج⁽⁸⁾.

أما من ناحية التربية نقول أنه مادامت الأسرة تمثل جماعة اجتماعية صغيرة فإنها تحمل نفس السمات الرئيسية للمجتمع الكبير، حيث أن هذه السمات تنعكس على الأطفال عن طريق الأسرة باعتبارها هي الجماعة الأولية الأساسية حيث ينمي فيها الطفل اتجاهاته وأنماطه السلوكية والقيم التي يهتدي بها كما أنها هي الوسيلة الوحيدة المعروفة بالتنشئة الاجتماعية بالنسبة للأطفال وذلك من أجل اكتساب معتقداتهم واتجاهاتهم⁽⁹⁾.

أما التربية الجسمية فهي تعني تنمية النواحي الجسمية لدى الأطفال لما لهذا الجانب من أهمية، والأسرة هي المسؤول الوحيد الذي يتكفل بتنمية هذا الجانب، من حيث إتباع القواعد الصحية السليمة. وكل ما يتعلق بها من مأكّل ومشرب ونوم وذلك بحماية أجسام أطفالها من الأمراض ووقايتهم منها وعلاجهم عند الحاجة وفي هذا المجال يقول محمود حسن " يقوم المجتمع بتفويض الأسرة في تحمل مسؤولية حماية المواليد والأطفال ورعاية حاجاتهم الجسمية وتكامل شخصياتهم⁽¹⁰⁾، وبالنسبة للتربية العقلية فتعني تنمية النواحي الفكرية التي تساعد الطفل في عملية التفكير في كل ما يتعلق بالثقافة العلمية الحديثة ذلك وفق ما توفره له الأسرة من جو مناسب كمساعدة الوالدين له في إحساسه بالعالم الخارجي ومدى تعريفهم له بالأشياء المجهولة عنده في الحياة وكذلك توفير الوسائل المناسبة لتعليمه والتي تنمي فيه ملكة التفكير كإشباع رغباته بالألعاب المفيدة كالألعاب الفكرية التي تساعد في تنمية قدراته العقلية.

أما التربية الخلقية فتلعب دورا مهما في تكوين أخلاق الطفل وفي التأثير عليها من جميع النواحي إذ تعتبر الأسرة أول مجتمع يتصل بالطفل ويعدده لتقبل الفضائل واجتناب الرذائل كما أن أوليائه هم المسؤولون عن تربيته على الخلق الحميد وذلك بإبعادهم عن الأطفال المنحرفين، وعزلهم عن برامج وسائل الإعلام التي قد تغير وتفسد أخلاقهم، أما التربية الدينية فالأسرة دائما هي الملقن الوحيد لأبناء عقيدة المجتمع التي تعتبر من الركائز الأساسية التي تحفظ كيان المجتمع، على اعتبار أن العقيدة هي القوة الدافعة إلى القيام بالأعمال السامية وبواسطتها يندفع الأفراد إلى الأعمال الخيرية الإيجابية.

أما المجال البديعي للأسرة فهو قيامه بتكوين الذوق الجمالي وتنمية الحس البديهي له، فالطفل الذي يعيش في أسرة ذات منزل مرتب متناسق ونظيف حيث يتعلم فيه الطفل تقدير الجمال، وإدراكه للتناسق والتناغم ويحب النظام والترتيب، على خلاف الذي يعيش في منزل تسوده الفوضى، ويعمه الاضطراب فمثل هذا المنزل ينعكس في سلوك الطفل نوعا من القلق وفقدان تركيز وسوء اتزان⁽¹¹⁾.

التنشئة الاجتماعية:

تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية يتم بواسطتها توجيه الطفل على نهج حياة أسرته والجماعات الاجتماعية الأكبر انطلاقا من تنمية قدراته الأساسية التي تبدأ منذ ولادته إلى تنمية سلوكه الفعلي نحو اكتساب ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه وما تحتويه من قيم ورموز ومعايير مما يساعده على تكوين شخصيته، التنشئة الاجتماعية هي عملية تفاعل الفرد بما لديه من استعدادات وراثية مع البيئة التي يعيش فيها، ومن خلالها يتم تدريجيا نموا لشخصيته من جهة واندماجه من جهة أخرى. وأن مفهوم التنشئة الاجتماعية اهتم به علماء النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، كل حسب منظوره حيث أطلقت عليه تسميات مختلفة كالتعلم الاجتماعي والاندماج الاجتماعي والتطبيع الاجتماعي وهذه التسميات لا تخرج في نظر نيوكمب Newcomb عن كونها عمليات نمو وارتقاء اجتماع يتطور خلالها الأداء السلوكي للفرد⁽¹²⁾.

تعريف التنشئة الاجتماعية:

ويعرفها شحاته سليمان في كتابه تنشئة الطفل وحاجاته بين الواقع والمأمول أنها عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد (طفلا فمراهقا فراشدا فشيخا) سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مساهمة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية⁽¹³⁾.

ويعرفها مافيز وروس E Mavis and Ross بأنها العملية التي يصبح يوما بها الفرد متعلما لأسس وقواعد اللعبة الاجتماعية⁽¹⁴⁾.

أما سيد عثمان فيعرفها بأنها " عملية تعلم قائم على تعديل أو تغير في السلوك وبذلك تكون عملية تفاعل يتم عن طريقها تعديل سلوك الشخص حيث يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التي ينتهي إليها"⁽¹⁵⁾.

ويعرفها فؤاد البهي بأنها " هي العمليات التي تعمل على نقل الفرد من كائن عضوي إلى كائن بشري اجتماعي متوافق مع قوانين جماعته ومعاييرها"⁽¹⁶⁾.

ويعرفها عبد الرحمن العيسوي على أنها " العملية التي تتشكل خلالها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه واتجاهاته وسلوكه لتكون متناغمة مع ما يعتبره المجتمع مرغوبا لأدواره الراهنة والمستقبلية في المجتمع"⁽¹⁷⁾.

ويعرفها طلعت إبراهيم لطفي بأنها " عملية التفاعل الاجتماعي التي تكتسب عن طريقها داخل المجتمع، كما أنها العملية التي عن طريقها تكتسب الثقافة بكل ما تتضمنه من معايير وقيم ورموز"⁽¹⁸⁾.

أما تالكوت بارسونز فيعرفها بأنها " عبارة عن عملية التعلم والتلقن والمحاكاة والتوحد مع الأنماط الثقافية، والعاطفية، والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية مستمرة لانهاية لها"⁽¹⁹⁾.

ومما سبق يمكننا الإشارة أن التنشئة الاجتماعية تبدو بأنها عملية مهمة بالنسبة للفرد والمجتمع خاصة إذا كانت في ثناياها الايجابية على اعتبار أن الفرد يكتسب عن طريقها ذاته الاجتماعية وينقل ثقافته من جيل إلى آخر وبها يبني شخصيته ويكتسب أيضا عملية التفاعل الاجتماعي داخل البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها. علما بأن التنشئة هي عملية مستمرة لا تقتصر على مراحل الطفولة ولكنها تستمر من الطفولة إلى الرشد والكهولة ثم الشيخوخة كما يعبر عنها شحاته سليمان محمد سليمان في كتابه تنشئة الطفل وحاجاته بين الواقع والمأمول⁽²⁰⁾. وبالتالي يجدر بنا أن نقول في هذا المجال أن الفرد يُنشأ ثم يُنشئ ثم يُنشأ في الأخير عبر مراحل حياته.

وبالتالي فإن الفرد ينتمي باستمرار إلى جماعات جديدة، حيث أنه يتعلم دوره الجديد فيها ويكتسب أنماطا جديدة من السلوك وهي عملية تنظم التفاعل والتغير وبالتالي فهي عملية دينامية تعمل

على دفع الفرد إلى التفاعل مع أفراد جماعته من حيث الأخذ والعطاء، ومهما يكن فإن عملية التنشئة الاجتماعية للطفل تبدأ من أحضان أسرته ويرى بول سبتنسر Poul Spencer أن التنشئة الاجتماعية لها مفهوم أحدهما محدد يتصل بعملية التعلم الاجتماعي للأطفال بحيث تقوم بغرس قيم ومعايير الجماعة لدى الناشئين لدرجة تمثلهم لها ومشاركتهم فيها، أما الثاني فهو شامل حيث أنها تمتد من محيط الأطفال ومجالهم إلى محيط الراشدين، حيث يتم غرسها للقيم والمهارات والمعايير من ناحية ربطهم بالجماعة الاجتماعية الجديدة بالدرجة التي تمكنه من التوافق الاجتماعي من ناحية أخرى⁽²¹⁾.

الهدف من التنشئة الاجتماعية:

- 1- تكوين الشخصية الإنسانية وتكوين ذات الفرد عن طريق إشباع الحاجات الأولية بحيث يستطيع فيما بعد أن يجد نوعاً من التوافق والتآلف مع الآخرين من جهة ومع مطالب المجتمع والثقافة التي يعيش فيها من جهة أخرى.
- 1- تكوين بعض المفاهيم وهكذا القيم الخلقية لدى الفرد مثل التأكيد على مفهوم الذات الإيجابي وخاصة في السنوات الأولى من حياته.
- 2- للأسرة دور فعال في تنمية الضمير لدى الفرد خاصة أن للوالدين دوراً مهماً في أن يكونوا قدوة لغرس القيم الدينية والأخلاقية لأطفالهم⁽²²⁾.
- 3- من خلال التنشئة الاجتماعية يكتسب الفرد الصفة الاجتماعية ويدرك معنى المسؤولية الاجتماعية لأنه لا يولد اجتماعياً.
- 4- تهدف التنشئة غرس ثقافة المجتمع في شخصية الفرد، لأن العلاقة تبادلية بين الثقافة والتنشئة فكل منها يؤثر ويتأثر بالآخر لأن أبرز وظائف التنشئة قدرتها على حفظ ثقافة المجتمع ونقلها من جيب إلى آخر.
- 5- تعمل التنشئة الاجتماعية السليمة على تنشئة الفرد على ضبط سلوكه وإشباع حاجاته مما يتماشى ويتلائم مع القيم الدينية والأعراف الاجتماعية⁽²³⁾، وهي وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي للفرد.

الاتجاهات الأساسية في دراسة التنشئة الاجتماعية:

لقد سبق لنا القول في أنه مفهوم التنشئة الاجتماعية مفهوم واسع المعالم حيث اهتم به علماء النفس وعلماء الاجتماع والانثروبولوجيين كل حسب منظوره وستتطرق إلى كل هذه الاتجاهات كل حسب تفسيره لها.

1- الاتجاه النفسي:

ويذهب أنصار هذه الاتجاه من علماء النفس على أن شخصية الفرد تتشكل وتتكون في السنوات الأولى فقط من حياته لأن عناصر شخصيته تعود إلى مرحلة الطفولة وما يتعرض له الفرد من خبرات إيجابية أو سلبية، فالطفل يولد ولديه مجموعة من الغرائز والنزوات والتي يحاول إشباعها والتي قد تهدد استقرار المجتمع، وبالتالي عرف علماء النفس التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التي يستطيع بمقتضاها الأفراد المنشئين اجتماعيا عن كبح نزواتهم وتنظيمها وفقا لمتطلبات المجتمع ونظامه الاجتماعي السائد، ويكون سلوكهم هذا مناقضا لسلوك الأفراد غير المنشئين اجتماعيا والذين تؤدي أنانيتهم إلى إشباع نزواتهم للإضرار بالآخرين وسلامة المجتمع⁽²⁴⁾، وما يمكن قوله أن عملية التنشئة الاجتماعية من وجهة نظر علماء النفس تعني بتحقيق التوازن بين نزوات الفرد ورغبات المجتمع بحيث يمكن تهذيب هذه النزوات وتحويلها إلى سلوكيات مقبولة.

2- الاتجاه الاجتماعي:

أما علماء الاجتماع فيذهبون إلى أن مفهوم التنشئة الاجتماعية يعنى الاهتمام بالنظم الاجتماعية والتي من شأنها تحول الإنسان من تلك المادة العضوية إلى فرد اجتماعي قادر على التفاعل والاندماج بيسر مع أفراد المجتمع، ففي رأيهم أن التنشئة الاجتماعية حسب المفهوم الاجتماعي ما هي إلا تدريب الأفراد على أدوارهم المستقبلية ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع ويتلقنون بالقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد والعرف السائد في المجتمع مما يؤدي إلى خلق نوع من التضامن والتماسك في المجتمع⁽²⁵⁾.

3- الاتجاه الانثروبولوجي:

ويرى العلماء في هذا الاتجاه أن حفظ الثقافة ونقلها من جيل لآخر من أهم خصائص المجتمعات الإنسانية ويكون ذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية التي تعتبر الوعاء الأول الذي من خلالها يستطيع المجتمع الحفاظ على ثقافته. وحسب سعيد فرح أنها عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي مستمرة تبدأ من الميلاد داخل الأسرة إلى المؤسسات الأخرى. وفي هذا يرى كل من فرانس

بواس Franz Boas وروث بدكت Ruth Benedict ومرجريت ميد Margret Mead أن الطفل يكتسب ثقافة المجتمع بشكل تلقائي من خلال أساليب الثواب والعقاب والتي يتعرض لها الفرد في مرحلة الطفولة.

كما يرى البعض إن استدماج الطفل لثقافة المجتمع هو العنصر الأساسي للتنشئة الاجتماعية نجد تالكوت بارسونز يذهب إلى أن العنصر الأساسي من الثقافة هو قيم المجتمع⁽²⁶⁾.

أساليب التنشئة الاجتماعية:

سبق وأن تطرقنا في الاتجاه النفسي وفي نظر علماء النفس أن التنشئة الاجتماعية هي تلك العملية التي تعني بتحقيق التوازن بين نزوات الفرد ورغبات المجتمع والتي يمكن تهذيبها وتحويلها إلى سلوكيات مقبولة وبالتالي يمكننا القول بأن أساليب التنشئة الاجتماعية تلعب دورا هاما في تكوين الطفل النفسي والاجتماعي وذلك بالتنشئة الاجتماعية السليمة وهذا لا يمنعنا من القول بأن هناك تنشئة اجتماعية غير سليمة فقد تحدث بعض الأخطاء تؤدي إلى تكوين أنماط سلوكية غير مرغوب فيها، وبالتالي يمكننا القول بأن أساليب التنشئة الاجتماعية تعني باستمرارية أسلوب معين أو مجموعة أساليب متبعة في تربية الطفل ويكون لها أثر في تشكيل شخصيته. وبالتالي يتحول من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي.

ومن هذه الأساليب: الأساليب السوية ومنها أسلوب الحرية في المعاملة للطفل واحترام شخصيته، وكذلك الأسلوب الذي يحقق الأمن النفسي للطفل ومنها الحب والقبول والاستقرار.

أما الأساليب الغير سوية فتتمثل في فرض الحماية الزائدة على الطفل وإخضاعه للكثير من القيود التي تحرمه من حريته.

أما التسلط فهو يعني فرض الوالدين لرأيهم على الطفل أو ما يسمى بالضبط الاجتماعي حيث تكون فيها الصرامة والقسوة وخضوع الأبناء التام للأوامر والنواهي وهذا ما يؤدي إلى إضعاف ذات الطفل، ومنها إلى الانحرافات السلوكية، وكذا نجد أسلوب التذبذب والتضارب في معاملة الطفل ويبدو ذلك جليا في عدم استقرار الأب والأم من حيث استخدام أساليب الثواب والعقاب.

أما الحماية الزائدة فهي تعمل على إخضاع الطفل إلى الكثير من القيود مع حرص الوالدين على حماية الطفل والتدخل في كل شأنه حيث لا يتسنى له فرصة اتخاذ القرار الخاص به أو اختيار الوالدين لأصدقائه وحرمانه من فرص التعلم وهذا ما يؤدي به إلى الفشل في تحمل مسؤولياته لنفسه وفي كل نواحي التكيف والتوافق الاجتماعي⁽²⁷⁾.

أما التدليل ونعني به تلبية الوالدين لحاجات الطفل مهما كان نوعها وتلبية مطالبه دون مراعاة الظروف الواقعية والإهمال يعتبر من السلوكات الشاذة من طرف الوالدين تجاه الطفل وتركه دون توجيه مما يجعله لا يعرف الصواب من الخطأ في سلوكه نتيجة إهماله من طرف أسرته منذ ولادته.

مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

باعتبار التنشئة الاجتماعية تبدأ من ميلاد الطفل وتنتهي بوفاته، وعبر هذه الفترة تتدخل عدة تنظيمات رسمية وغير رسمية لنشأته، حيث يكون في مرحلة الأولى منشأ ثم يتحول إلى منشئ ثم يغدو إلى مُنشئ ومنشأ في آن واحد ومن هذه المؤسسات:

1- مؤسسة الأسرة:

إن ميلاد الطفل يأتي به إلى بيئة مختلفة تماما الاختلاف عن البيئة التي كان يعيش فيها، وإذا كانت بيئة الرحم ثابتة نسبيا ومهيأة لمعيشته ونموه فإن البيئة الجديدة ليست كذلك بل تحتاج تهيئتها له إلى مجهود من الآباء⁽²⁸⁾، حيث أن مركزه يحدد مكانته لدى والديه، ويقضى حياته في كتف أسرته⁽²⁹⁾، وبالتالي يصبح شديد الارتباط بأمه وبأفراد أسرته⁽³⁰⁾، وبالتالي يمكن القول بأن أول مجال للتنشئة الاجتماعية للطفل هو الأسرة وعلى رأسها الوالدين اللذان يقومان بالاعتناء به من حيث تغذيته وملبسه وحمايته كبدية أولى للحياة مما ينمي ثقته بنفسه وبأسرته، وعبر هذا الاعتماد يرى الطفل أفراد أسرته عبارة عن رموز مهيمنة في عالمه على اعتبار أنهم يتفاعلون بشكل يومي ويستمر على مر الأيام، وبالتالي يبدأ في إدراك إشاراتهم وحركاتهم وانفعالاتهم بتطور الوالدين معه في تعلمه السلوك المقبول وغير المقبول، الجيد والردىء، وبالتالي يتعلم ردود فعل والديه حول سلوكياتهم الإيجابية والسلبية التي ترسم على سلوكهم وأفعالهم وأقوالهم، حيث أن الأسرة هي التي تتيح له أول فرصة التفاعل الاجتماعي وهكذا فإنها تخلق لديه الحاجة والميل للتكيف مع غيره، ويضطلع الآباء والكبار الآخرين في الأسرة في مهمة غرس عادات السلوك لدى الطفل وخاصة تلك العادات التي يوافق عليها المجتمع⁽³¹⁾، على اعتبار أن هذا الأخير لابد وأن ينشغل باهتمامات الطفل⁽³²⁾، وبأعداد الأسرة لطفلها نفسيا وجسميا (كما أشرنا إليه أثناء تحليلنا لتعاريف الأسرة) تعمل على إعداد اجتماعيا لكي يكون أحد أفراد المجتمع العام عن طريق اكتسابه الآداب وتقاليد وأعراف مجتمعه بطبيعة الحال، وهذا يكتسبه بواسطة والديه، وبالتالي تكون الأسرة قد أمجته في الإطار الثقافي لمجتمعه، وتغرس فيه المعتقدات والقيم والأساليب التي يشب عليها وتصبح من مكونات شخصيته، وعموما فإن الطفل يولد كائنًا عضويًا ويبدأ في اكتساب صفاته الاجتماعية التي تحيله إلى كائن اجتماعي

بعد ولادته وذلك ضمن إطار والديه⁽³³⁾، مما يستلزم من أسرته عملية تعلم طويلة المدى⁽³⁴⁾، وذلك يكون ابتداء في السنوات الأولى من عمره، حيث العلاقة الفردية والاجتماعية، وتعمل على نموه اجتماعيا، وذلك عن طريق التفاعل الذي يلعب دورا في تكوين شخصيته وتوجيه سلوكه نحو اكتساب هذه الاجتماعية مع الآخرين، لأن مع مرور الوقت يخرج إلى الجماعة التي يلعب معها، وينقل لها اتجاهاته الشعورية واللاشعورية نحو نفسه والوالدين والأطفال الآخرين، هذه الاتجاهات تكونت في مجرى حياته الأسرية⁽³⁵⁾، وأن النمو النفسي في إطار أسرته عن طريق التقليد والمشاركة يتم من خلال اعتماده على والديه والذنان يساعده على العلاقات الوجدانية التي تجعله يستكمل الخروج من ذاته وتكمل نموه النفسي والاجتماعي لأنها تتمثل في إدماجه داخل المجتمع⁽³⁶⁾، فالحياة الأسرية تؤدي إلى تطبيع المثالي نحو الروح والعواطف الأسرية من خلال شعوره باهتمام أسرته له مما يؤثر في تكيفه مع نفسه وبيئته، ومما يعتبر عاملا مهما لتكوين شخصيته، وهذا ما يؤكد غريب محمد سيد أحمد في كتابه علم الاجتماع ودراسة المجتمع من أن شخصية الطفل تتأثر إلى حد كبير بأساليب التنشئة الاجتماعية التي يتبعها الآباء في تدريب أطفالهم على المواقف المختلفة التي تتعرض الطفل منذ الميلاد وحتى مرحلة الطفولة المتأخرة⁽³⁷⁾، ويبقى الوالدين يفكران دائما في مستقبل هذا الطفل والذي كبر مما يتطلب دخوله إلى عالم الشغل⁽³⁸⁾.

2- المدرسة: من البديهي أن المؤسسة الاجتماعية الثانية لتنشئة الطفل هي المدرسة والتي تعلم الطفل التنافس مع زملائه، وهي التي تقوم بتنشئة تلاميذها على تعلم الوطنية من تاريخ مجتمعاتهم وتراثه الفكري إلى العادات الشعبية ورموز النظام السياسي لبلدهم باعتبارها المؤسسة الثانية لتنشئة الطفل وهي تقوم بوظيفتين:

- أ- نقل الثقافة والمحافظة على التراث الثقافي مع ما يطرأ عليه من تعديلات.
 - ب- توفير الظروف المناسبة لنمو الأطفال جسميا وعقليا وانفعاليا وجسيما⁽³⁹⁾.
- وتعتبر المدرسة هي مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع لتشارك الأسرة مسؤوليتها في التنشئة الاجتماعية تبعا لفلسفته ونظمه وأهدافه وهي متأثرة بكل ما يجري في مجتمعاتها، إنها الوسيلة والمكان الذي بواسطته تنقل الفرد من حال التمرکز حول الذات إلى حال التمرکز نحو الجماعة⁽⁴⁰⁾. وما يمكن قوله أن الأسرة مع المدرسة في توجيه التلميذ وتعديل سلوكه، كما يمكن ذلك بخلق اتجاهات موحدة ومتقاربة في كل من المدرسة والأسرة وفتح علاقات مستمرة بين الأولياء والمدرسين للتشاور حول سلوك التلميذ والمدرسة وإبداء الاهتمام والمتابعة لعملية التنشئة، وينبع هذا التعاون والتكامل من وحدة الوظيفة الاجتماعية لكل من الأسرة والمدرسة ووحدة الدور⁽⁴¹⁾.

3- الإعلام: مع تطور وسائل الإعلام المختلفة أصبحت تؤثر على تنشئة الأطفال بشكل واضح خاصة التلفزيون الذي ساعد على تنمية خيالهم وأحاسيسهم وأذواقهم، ومواقفهم واتجاهاتهم.

4- المهنة: بعد أن ينتهي الفرد من تعليمه المدرسي وما يلاحقه من أطوار تعليمية أخرى والتي تستمر مع تنشئته الاجتماعية حتى وفاته، مما يؤدي به إلى النظر في متطلبات عمله وموقعه الوظيفي، وفي هذا المجال طرح ولبرث مور أنواع التنشئة المهنية ومنها الإعداد الأكاديمي المسبق والتأهيل المهني والاشتراط والالتزام المستمر لبرامج العمل⁽⁴²⁾.

5- الدين: تقوم دور العبادة على اختلاف أنواعها بتوجيه وإرشاد الناس نحو السلوك الأخلاقي الحميد وتنقية النفس من النزعات العدوانية، وتذكير الناس بالعقاب الأخير العالم الثاني (الحياة الآخرة) لكل منحرف عن التعاليم الدينية، فتتبلور في نفوس هؤلاء صورة محرمة لبعض السلوكات الدنيئة مما يجعلهم يبتعدون إلى الطريق المستقيم والتحلي بالأخلاق الفاضلة.

نظريات التنشئة الاجتماعية:

1- نظرية التحليل النفسي: وصاحب هذه النظرية فرويد سيغموند والتي يرى فيها أن جذور التنشئة الاجتماعية عند الأفراد تتمثل فيما يسمى بالانا الأعلى، وهذا الأخير يبدأ بتطور عند الفرد منذ طفولته وذلك بتقمصه دور والده، الذي هو من نفس جنسه، حيث يرى بأن الطفل يولد بالهو أي بمجموعة من الدوافع الغريزية التي يريد الطفل إشباعها وأثناء نموه يجد والديه أو غيرهم من المحيطين به في المجتمع الذي يعيش فيه ليقضوا عن طريق إشباعه لهذه الغرائز وذلك محاولة منهم في تنشئته وتطبيعته على قبوله لقوانين مجتمعه مساعدين إياه على تحقيق التقبل الاجتماعي والمحاولة على اندماجه في مجتمع الراشدين، وبالتالي ينتج عن عملية الضبط يتحول جزء من الهو إلى ما يسميه فرويد بالانا الأعلى وهو ما يسمى بالضمير. وهذا الأخير هو الذي يخضع مطالب اللذة للتحكم وفق معايير المجتمع وفي هذا يرى فرويد أن كل ما يجده الفرد في الانا صعبا للتحقيق يكتب ويحول إلى ما يسميه فرويد اللاشعور والتي تجد لها تعبيرا في الأحلام والشروء إضافة إلى ما تسميه من متاعب كثيرة ومشكلات عقلية واجتماعية ونفسية⁽⁴³⁾.

2- نظرية التعلم الاجتماعي: يعتبر التعلم القاعدة الأساسية بالنسبة لهذه النظرية، حيث أن الإنسان الكائن الوحيد الذي كرمه الله سبحانه وتعالى على التعلم وذلك ما للتعلم من فائدة في حياته على اعتبار أن التعلم هو عملية مستمرة ودائمة في عملية التنشئة الاجتماعية حسب أصحاب هذه النظرية الذين

يرون في التعلم هو الذي يهتم بالسلوك الاجتماعي عن الفرد، لأن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية التعلم في حد ذاتها، لأنها تعمل على تخيير وتعويد السلوك نتيجة تعرض الفرد لممارسات معينة وخبرات، وبالتالي بأن مؤسسات التنشئة الاجتماعية تستخدم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية بعض الوسائل والأساليب في تحقيق التعلم وحسب هذه النظرية فإن التنشئة الاجتماعية هي في حد ذاتها عبارة عن نمط تعليمي يساعد الفرد على القيام بأدواره الاجتماعية. كما أن التطور الاجتماعي يتم بهذه الطريقة نفسها حسب هذه النظرية. كما يضيف هذه النظرية أهمية كبرى للتعزيز في عملية التعلم الاجتماعي أمثال دولارد سميكر Dolard وميلر Miler حيث أنهما يذهبان إلى أن السلوك الفردي يتدعم أو يتغير تبعاً لنمط التعزيز في تقوية السلوك⁽⁴⁴⁾.

3- نظرية الدور الاجتماعي: ويرى هنا رالف لينتون بأن الدور الاجتماعي " بأن المكانة عبارة عن مجموعة الحقوق والواجبات وبأن الدور هو المظهر الديناميكي للمكانة، فالسير على هذه الحقوق والواجبات معناه القيام بالدور ويشمل الدور عند إينتون الاتجاهات والقيم والسلوك التي يميلها المجتمع على كل الأشخاص الذين يشغلون مركزاً معيناً، وبالتالي يمكن القول أن الدور هو ثمرة تفاعل الذات والغير، وأن الاتجاهات نحو الذات هي أساس فكرة الدور وبالتالي فهي تكتسب عن طريق التنشئة وتتأثر تأثيراً كبيراً بالمعايير الثقافية السائدة كما تتأثر بخبرة الشخص الذاتية ولهذا حاولت نظرية الدور تفهم السلوك الإنساني الذي يشمل عناصر حضارية واجتماعية وشخصية وبالتالي فالطفل يكتسب الأدوار الاجتماعية من خلال علاقات مع أفراد له علاقة بهم كالوالدين والأخوة، فعملية اكتساب الأدوار الاجتماعية بصفة عامة هي ارتباط عاطفي يوفر عوامل التعلم الاجتماعي واكتساب الأدوار الاجتماعية من خلال تعريف الأسرة:

- التعاطف مع الأفراد ذوي الأهمية وهم المحيطين بالطفل.
- دوافع الطفل وبواعثه على التعلم.
- إحساس الطفل بالأمن والطمأنينة مما يجعله أكثر جرأة في تجريب الأدوار الاجتماعية المختلفة وخاصة في مجال اللعب⁽⁴⁵⁾.

إن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية تشمل جميع الجهود والنشاطات والوسائل الجماعية والفردية، التي تعمل على تحويل الكائن، العضوي عند الولادة إلى كائن اجتماعي، فهي عملية تعلم وتعليم

يشارك فيها كل من الفرد والجماعة، الفرد بما هو عليه من تكوين بيولوجي ثم نفسي، والجماعة بما توفرها من ظروف اجتماعية مادية، وبهذا يمكن القول بأن عملية التنشئة الاجتماعية تتضمن اكتساب:

- 1- القدرة على التكيف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية وثقافة الجماعة.
- 2- القدرة على التفاعل وبناء علاقات مع الآخرين.
- 3- أنماط السلوك والقيم والرموز الخاصة بجماعة أو مجتمع أو حضارة، بما ينطوي على اكتساب أنماط الفعل والفكر والشعور إضافة إلى اكتساب الهوية.
- 4- اكتساب المعرفة والمهارات⁽⁴⁶⁾.

الخاتمة:

مما سبق يمكن القول بأن الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية للطفل، حيث أنها تمثل الحضان الاجتماعي الذي يتوفر فيه المناخ المناسب والملائم لتربية الطفل منذ بداية وجوده، وذلك لأنها ستمثل النماذج التي تتشكل وفقاً لها تفاعلاته وعلاقاته الاجتماعية، ويتأثر لها نموه الانفعالي والعاطفي، وكذا أنها تعمل على تلقينه لكل عناصر ثقافتها وثقافة المجتمع الذي تنتمي إليه، وتذهب إلى أبعد من ذلك، حيث أنها تنمي فيه سلوك التفاعل الاجتماعي داخل بيئته الاجتماعية والتي تلقنه معايير اجتماعية تحكم سلوكه مما يساعده على تكوين شخصيته، لأن التنشئة الاجتماعية هي عبارة عن عملية مستمرة لا تقتصر على المراحل الأولى من عمر الطفل بل تستمر عبر مراحل نموه مروراً بالطفولة إلى الرشد إلى الشيخوخة.

الهوامش

- 1- محمود حسين: الأسرة ومشكلاتها، بيروت، دار النهضة العربية، 1981، ص 111.
- 2- أكرم مصباح عثمان: مستوى الأسرة وعلاقته بالسمات الشخصية والتحصيل للأبناء، الجزائر، دار ابن حزمة، 2002، ص 28.
- 3- فهد سليم الغزوي وآخرون: المدخل إلى علم الاجتماع، الأردن، دار الشروق، 2004، ص 213.
- 4- محمد عبد الهادي دكلة: المجتمع الريفي، جامعة بغداد وزارة التعليم العالي، 1979، ص 179.
- 5- محمود حسن: الأسرة ومشكلاتها، بيروت، دار النهضة العربية، 1981، ص 14.
- 6- السيد محمد بدوي: مدخل إلى علم الاجتماع، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1985، ص 31.
- 7- علياء شكري: الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، القاهرة، دار المعارف، 1981، ص 187.
- 8- محمود حسن: مقدمة الخدمة الاجتماعية، بيروت، دار النهضة العربية، (د، س)، ص 438.
- 9- سناء الخولي: الأسرة والحياة العائلية، بيروت، دار النهضة العربية، 1984، ص 47.
- 10- محمود حسن: الأسرة ومشكلاتها، مرجع سابق، ص 12.
- 11- أحمد منير مصلح: التربية العامة، دمشق، وزارة التربية، 1972، ص 25.
- 12- فاطمة المنتصر الكتاني: الاتجاهات الوالدية وعاقبتها بمخاوف الذات لدى الأطفال، عمان، دار الشروق، 2000، ص 44.
- 13- شحاته سليمان محمد سليمان: تنشئة الطفل بين الواقع والمأمول، الأزراطية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2008.
- 14- فاطمة المنتصر الكتاني: مرجع سابق، ص 44.
- 15- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الأسرة والمجتمع (دراسة في علم اجتماع الأسرة)، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2003، ص 10.
- 16- شحاته سليمان محمد سليمان: مرجع سابق، ص 10.
- 17- فاطمة المنتصر الكتاني: مرجع سابق، ص 45.

- 18- طلعت إبراهيم لطفي: مدخل إلى علم الاجتماع، القاهرة، دار غريب، (د، س)، ص 135.
- 19- صالح محمد علي أبو جادو: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 1998، ص 16.
- 20- شحاته سليمان محمد سليمان: مرجع سابق، ص 9.
- 21- حسين عبد الحميد أحمد رشوان: الأسرة والمجتمع (دراسة في علم اجتماع الأسرة)، مرجع سابق، ص 151.
- 22- شوق أسعد محمود: علم اجتماع العائلة، الأردن، دار البداية، 2012، ص 144.
- 23- محمود حامد خضر: المدخل إلى علم الاجتماع، ط1، الأردن، دار البداية، 2012، ص 89.
- 24- محمود حامد خضر: مرجع سابق، ص 83.
- 25- محمود حامد خضر: نفس المرجع، ص 84.
- 26- محمود حامد خضر: مرجع سابق، ص 86.
- 27- شحاته سليمان محمد سليمان: مرجع سابق، ص 16.
- 28- علاء الدين كفاقي: رعاية نمو الطفل، القاهرة، دار قباء للطباعة، 1998، ص 19.
- 29- عباس محمود عوض: في علم النفس الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (د، س)، ص 364.
- 30- عبد الرحمن العيسوي: أصول علم النفس الحديث، الإسكندرية، المكتب العربي الحديث، (د، س)، ص 77.
- 31- غريب سيد أحمد وآخرون: المدخل إلى علم الاجتماع المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص 326.
- 32- Jacqueline Corroy: les femmes dans les sciences de l'homme, (XIX^{eme} Siecle) sefi Arshon, Paris, 2005, -32 P41.
- 33- محمود الاشرام: محاضرات في المجتمع الريفي، القاهرة، مديرية الكتب والمطبوعات الريفية، 1976، ص 48.
- 34- وليم. و. ولبرت: علم النفس الاجتماعي، (ت) سلوى الملا، القاهرة، دار الشروق، 1993، ص 41.
- 35- أنس محمد أحمد قاسم: أطفال بلا أسر، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1998، ص 13.
- 36 -Institut des sciences de la famille: la famille des sciences à l'hetique 8- 9 avril, 1994, Bayard, édition, Paris, 1995, P199.

37- غريب محمد سيد أحمد: مرجع سابق، ص 391.

38 - Alain vibord: devenir éducateur une affaire de famille, le harmattan logiques sociales, Paris, 1995, P 181.

39- أبو فهي سليم الغزوى وآخرون: المدخل إلى علم الاجتماع، الأردن، دار الشروق، 2000، ص 197.

40- ناصر إبراهيم: علم اجتماع التربوي، بيروت، دار الجيل، عمان، مكتبة الرائد العلمية، (د، س)، ص 71.

41- مصباح عامر: التنشئة الاجتماعية والسلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية، الجزائر، دار الأمة، 2003، ص 134.

42- معن خليل: البناء الاجتماعي أنساقه ونظمه، دار الشروق، 199، ص ص 132، 133.

43- محمود حامد خضر: مرجع سابق، ص ص 91، 92.

44- محمود حامد خضر: نفس المرجع، ص ص 94، 95.

45- محمود حامد خضر: مرجع سابق، ص 98.

46- إبراهيم عيسى عثمان: مقدمة في علم الاجتماع، الأردن، دار الشروق، 2014، ص ص 186، 187.